لماذا اقف الى جانب الفلسطينيين ؟

واذا وجه لي سؤال بسيط : لماذا أقف الى جانب الثورة الفلسطينية ؟ سأذكر اولا ان ممثل منظمة التحرير في فرنسا دعاني لزيارة مخيمات الفلسطينيين وقواعدهم في الاردن.

وما حدث لي في هذه القواعد هو التالـــي : في الوقت الذي استمرت فيـــه الثـــورة الفلسطينية مجردة وغريبة عني نوعا ما ، أدركت انها لم تغير الفلسطينيين فقط وانما غيرتني أنا أيضا . أوضح : في أوروبا ، بفعل كسل آلي ، كنت أنظر الى الوظيفة وليس الى الانسان . كان خادم المطعم ضروريا لوضع الصحن ، والكأس واملاء الكأس : واذا وقع مريضا ، فالصحن والكأس سيكونان كذلك أمامي . سيكون هناك خادم مطعم آخر يحل محل المريض . وكان هذا يحدث على كل المستويات وفي كل الوظائف : كان كل رجل قابلا للاستبدال في اطار وظيفته ، وباستثناء حالات خاصة ، لم نكن نلمس الا الوظيفة . في القواعد الفلسطينية ، كان يحدث العكس : لقد تغيرت بمعنى ان علاقاتي تغيرت ، لان كل العلاقات كانت مختلفة . كان كل رجل غير قابل للاستبدال كرجل ، ولم نكن نلمس الا الرجل دون الوظيفة ، والوظيفة [illegible] نظام ، وانما قتالا

وكل ثورة لا تعمد الى تغيير بتغيير العلاقات بين الناس ، لا تهمني ، وأكثر من هذا ، أشك ان ثورة لا تؤثر علي لتحولني هي بالفعل ثورة . لقد اقامت الثورة الفلسطينية نوعا جديدا من العلاقات ، غيرتني ، وبهذا المعنى فان الثورة الفلسطينية هي ثورتي . ومن عوامل اهتمامي بالمنطقة ، خدمتي العسكرية في دمشق وقراءة « أعمدة الحكمة السبعة » ، واحساسي الغامض بأن لورانس كان دجالا حتى حينما ادعى انه يساهم في تحرير العرب . فتحريرهم من نير العثمانيين لصالح بريطانيا أو فرنسا أو اسرائيل ليس مكسبا . وبحكم وجودي هناك ، وحرية تنقلي في دمشق التي انهالت عليها قنابل غورو ، وكذلك بتأثير جاذبية شخصية سلطان الاطرش المتمرد ضد الاحتلال الفرنسي ، بقيت مهتما بشعب الشرق العربي .

في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وصلتني في فرنسا أصداء الامر الواقع الاسرائيلي بشكل خافت . كما أثار انفجار عبدالناصر ضاحكا حينما أمم قناة السويس حماسي . وعاد العالم العربي يقبع في شبه نعاس ، في الوقت الذي كان فيـــه شمال افريقيا يتحرر مـــن السيطرة العسكرية والادارة الفرنسيتين ، علما بأن المصالح الفرنسية — الاوروبية استمرت بشكل واسع ، وخاصة في المغرب .

وفي عام ١٩٦٨ ، أي بعد الحرب العربية الاسرائيلية ، كنت في تونس . كان ذلك في عصر « بن صلاح » الذهبي . وصلتني حينذاك بطريق الصدفة ، انبـــاء أفواج الجزائريين والمغاربة الذين كانوا يمرون من الشمال والجنوب متجهين نحـــو القاهرة للانضمام للمقاومة الفلسطينية . ففي قطار قابس — تونس ، سمعت بالامر لاول مرة ، ثم حدثني صاحب مكتبة وتونسي آخر في قفصة عن شعر فتح وأناشيدها .

وفي ١٩٧٠ ، استحوذ اختطاف الطائرات اهتمامي . فكنت في درعا في مطلع اكتوبر ١٩٧٠ .

تعريب فلسطين أم فلسطنة العالم العربي ؟

الشعب الفلسطيني موجود بلا أرض . واذا ترسخ هذا الوجود في الخيالي ، فذلك لا يشكل خطرا كبيرا . أما الحاحي على اخطار « العروبة » على مسيرة هـــذا الشعب وخاصيته ، فلا يعني ان الفلسطينيين ليسوا عربا . فهم عرب ، ولكنهم أكثر من ذلك .

العروبة خطر لانها تشكل حنينا بورجوازيا الى الماضي ، يعمل على تحويل انظار الشعب عن مصالحه الحقيقية .